تذكرة الأولياء

تأليف

فريد الدين العطار

كان حيًّا سنة : ٦٠٧ هـ

ترجمة

محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي

كان حيًّا سنة ٨٣٦ هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

دار المكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكرة الأولياء

تأليف

فريد الدين العطار

كان حياً سنة: ٦٠٧ هـ

ترجمة

محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي

كان حياً سنة ٨٣٦ هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

جمعداری اموال
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
ش-اموال: ٥١٤٩٠
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دار المكتبي

الطبعة الأولى

2009-1430

كتابخانه
مركز تحقيقات [illegible] علوم اسلامی
شماره ثبت: ٣٣١٥٥
تاريخ ثبت:

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

بسم الله الرحمن الرحيم
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد وآله وصحبه أجمعين

مساكين أهل العشق حتى قبورهم   عليها تراب الذُّلِّ بين المقابر

هذا هو العشق، فما بالك بمن فني في عشقه وتلاشى[1]، ففني بفنائه الزمان والمكان حتى غدا ظنًّا ورجمًا بالغيب، لا يُعلم عنه شيء، ولا يدرى عنه إلاّ تخمين وحدس.

كذا هو فريد الدين العطار أحبَّ فمحا الحبُّ نفسه، ولم يُبق منه إلاّ أثرًا مكتوبًا شاهدًا على لحظة وجوده، دالاًّ على مروره، مذكِّرًا أولياءه: هنا يرقد العطار، فرحم الله من رحم، وغفر الرحمن لمن شهد.

إنه فريد الدين أوراق مبعثرة، وأشعار ومداد، ونثر وكلام، جمعها حبٌّ للواحد الأحد الفرد الصمد، حتى قال فيه جلال الدين الرومي:

طوّفَ العطارُ مدنَ العشق السبعة

ولا نزال في مُنعطف جادَّةٍ واحدة

تصدير عام:

كانت خراسان ـ ومعناها البلاد الشرقية ـ تقسم إلى أربعة أرباع، ينسب كلُّ ربع منها إلى إحدى المدن الأربع التي كانت عواصم للأقاليم، وهي: نيسابور (ويقال: نيشابور)، ومرو، وهراة، وبلخ. وتقع نيسابور في أقصى الأرباع غربًا، ويُنسب بناؤها إلى سابور الأول بن أردشير، وذكر ياقوت إن أهل نيسابور

---

(١) العشق عند العطار سبب الأشياء كلها، حتى قال:

فإن تقرأ علوم الناس ألفا   بلا عشق فما حصَّلْتَ حرفا

كانو يسمّونها (نشاور)، وبيّنَ أنّها بعد أن أصابها الخرابُ في زلزال سنة ٥٤٠هـ نهبتها قبائل الغُزّ.

تاريخ نيسابور خلال حياة العطار: حَكَمَ ناصر الدين سنجر ما يُقارب من اثنتين وستين سنة، فمن سنة ٤٩٠ حتى ٥١١هـ كان أميرًا، لقّبه أخواه بركيارق ومحمد ملكاً على خراسان وما وراء النهر، ومن سنة ٥١١ حتى ٥٥٢هـ، ملكًا على كلِّ الممالك السلجوقية ملقّبًا بمعز الدين وسلطان السلاطين وملك المشرق، فكان آخرَ السلاجقة العظام. وفي أيام إمارته فتح ترمذ وطخارستان، وبسط سلطانه علي ما وراء النهر، وفتح غزنة. فلمّا أصبح ملكًا بسطَ نفوذه على طبرستان وكرمان وسجستان وأصفهان وهمذان والرّيّ وأذربيجان وأرمينية والعراق وديار بكر وديار ربيعة والشام والحرمين.

وفي حدود سنة ٥١٩هـ ظهرت طائفة من الجنس الأصفر باسم القراختائيين (نسبة إلى بلاد الخطا، وهي أرض الصين الشمالية)، وأسسوا دولةً جديدة.

وأسس قطب الدين محمد، وهو أمير حبشي كان مأمورًا من قبل بركيارق بإمارات خراسان، السلسلة الخوارز مشاهية، إذ كان قد تلقّبَ بخوارزمشاه، سنة ٤٩٠هـ.

فكان لكلٍّ من هاتين الدولتين أثرٌ مهم في توجيه التاريخ في القرن السادس الهجري.

وازداد نفوذ القراختائيين في البلاد المجاورة لهم، وأغاروا على العالم الإسلامي سنة ٥٣١هـ، فأُصيب المسلمون بالذعر، فاستنجدوا بسنجر، فتقدَّم نحو ما وراء النهر، فخافوا بأسَه، فاعتذروا، فرفض اعتذارهم، والتحموا معه في معركة قرب سمرقند في ٥٣٦هـ. فهزموه، وقوي شأنهم، فاستولوا على ما وراء النهر، ودام حكمهم حتى قضى عليهم علاء الدين خوارزمشاه سنة ٦٠٩هـ.

وأبدى الخوارزميون الولاء للسلاجقة في بادئ أمرهم، فولى سنجر علاء

الدين أتسز ولاية خوارزم، غير أنه بعد أن قوي شأنه تمرّد عليه، فحاربه سنجر وغلبه سنة ٥٣٣هـ.

وثار أتسز مرة أخرى، وتَسمّى بالملك، وامتدَّ نفوذه إلى حدود جند، وشط نهر سيحون. فتهيأ سنجر للانتقام سنة ٥٣٨هـ فحاصر أتسز في خوارزم، فاعتذر لسنجر، فتصالحا، وحارب سنجر أتسز وصالحه عدة مرات، وفي ٥٤٣هـ تمَّ الأمر لأتسز على خوارزم، وسار أمر سنجر إلى الاضمحلال.

وفي سنة ٥٤٨هـ أغارت قبائل الغُزّ على نيسابور، فقتلوا ـ كما يروي ياقوت ـ كلَّ من وجدوا، واستصفوا أموالهم حتى لم يبق فيها من يُعرف، وخرَّبوها وأحرقوها، ثم اختلفوا، فهلكوا، فاستولى عليها المؤيد أحد مماليك سنجر، فنقلَ الناس إلى محلَّةٍ منها يُقال لها الشاذياخ.

وحبس الغز سنجر عندهم أربع سنين، حتى هرب، فذهب إلى مرو، فتأثّر غاية التأثر، إذ رأى ما قد حلَّ بها من خراب. ومات وهو في الثانية والسبعين سنة ٥٥٢هـ.

وبعد أتسز حكم ابنه أيل أرسلان من ٥٥١ـ ٥٦٧هـ. وانقطع أيل أرسلان عن دفع الخراج إلى القراختائيين، وكان أبوه يدفعُهُ لهم، فحملوا عليه، وتغلّبوا على عسكره على ضفاف جيحون، وتُوفّي بعد هذه الموقعة سنة ٥٦٧هـ. فملك بعده ابنه الصغير جلال الدين محمود سلطان شاه، غير أنَّ الولد الكبير علاء الدين تكش لم يرضخْ لحكم أخيه، وقوي شأنه، إذ دفع الخراج للقراختائيين، فطَرد هو وأمُّه تركان خاتون أخاه الصغير من خوارزم، وتولّى الملك مكانه سنة ٥٦٨هـ. فحكم حتى ٥٩٦هـ. واستطاع أن يُضيف الريَّ وأصفهان إلى المملكة الخوارزمية، وتلاه علاء الدين محمد، فحكم حتى ٦١٧هـ. وهو أشهر الملوك الخوارزميين، وقد استطاع بعد سلسلةٍ من الحروب مع الغوريين في خراسان أن يُخضعَ القسم الأكبر من إيران، وفتح بخارى وسمرقند، وحمل على ممالك كورخان القراختائي، واحتل عاصمته، وفي سنة ٦١٤هـ استولى على أفغانستان وغزنين، وحبًا بالعلويين صمَّمَ على أن يقضي على الخلافة العباسية في بغداد،

غير أنَّ حملة المغول المفاجئة صرفته عن ذلك، وهربَ أمام سيلهم الجارف، وأخيرًا أسلم الروح في إحدى جزائر مازندران سنة ٦١٧هـ.

الخلافات المذهبية:

وكانت الخلافات المذهبية على أشدِّها في العالم الإسلامي كلِّه منذ القرن الخامس الهجري ولاسيما في إيران، فالخلاف بين السنة والشيعة كان قد اشتدَّ حتى استحال إلى معارك دموية في بغداد، وكان السَّلاجقة وخلفاءُ بغداد حماةً للسنة، وكان الفاطميون في مصر والإسماعيليون في إيران قد رفعوا أعلام تشيعهم، وكانت الدعوةُ الفاطمية في خراسان نفسها قويةً، وكان النزاعُ بين السنة والشيعة على أشدِّه، وكانت النصارى الصليبيون أعداءً لكلا الفريقين من المسلمين.

اشتدَّ النزاعُ بين تلك الفرق في القرن السادس الهجري، ولنا من شعر العطار على ذلك أكبرُ شاهدٍ، فقد رأيناه في «منطق الطير» و«أسرار نامه» و«مصيبت نامه» يعقد فصولاً في ذمِّ التعصب، ويُوجِّه الكلام فيها جميعًا إلى الشيعة.

ومن الطبيعي أن ينتج من تلك الخصومات الدينية قلقٌ واضطراب وهلع، وقتلٌ وتشريد وجوع، فتشتَّتِ القلوبُ، وعمَّ الناسَ الخوفُ على ما لديهم من مصالح، فشاعَ عند ذاك النِّفاقُ بين ضعاف النفوس.

التصوف: منذ العصر السلجوقي أخذ التصوف في الانتشار، وليس تعليل ذلك بالأمر الصعب؛ فإن اضطرابَ الحياة السياسية، وتفرّقَ الناس في مذاهبهم شيعًا وأحزابًا، وجنوح كلِّ فريقٍ إلى التعصب، وضعف النفوس، وفساد الأخلاق، واستخدام العلوم والفلسفة استعمالاً غير صحيح في نصرة الفريق المتعصّبِ، كلُّ ذلك يشيعُ في الناس اليأس والقنوط، فلا يجدون ملجأً حينئذ غير التصوف، فراجت سوقه، وكثر أتباعه، واهتمَّ به وبأهله حتى الأمراء والسلاطين.

وظهر في هذا العصر جماعةٌ من كبار الصوفية في العالم الإسلامي عامة،

وفي إيران خاصة مثل: حمّاد الدبّاس، وعدي بن مسافر، وعبد القادر الكيلاني، وأبي النجيب السُهروردي، وأحمد الرفاعي، وعين القضاة الهمذاني، وأبي مدين المغربي، وأبي مدين البغدادي، وروزبهان البقلي، ومجد الدين البغدادي، ونجم الدِّين الكُبْرى، وقطب الدين حيدر، وشيخنا فريد الدين العطار.

وكانت مدينة نيسابور في عصر العطار من أهم مراكز العلم والثقافة ورحماً أنجب كبار الزهاد[1]، وكان فيها للشافعية والحنفية مدارس كثيرة، وكانت المباحثات والمناظرات تجري في هذه المدارس وفي الخانقاهات والزوايا. ولما هاجم الغُزُّ هذه المدينة كان من العمارات المهمة التي هُدّمت مسجدُ العقلاء، كانت فيه مكتبة عظيمةٌ تحتوي على خمسة آلاف مجلد في أنواع العلوم المختلفة، وقد أُحرقت هذه المكتبة، وهُدمت ثماني مدارس حنفية، وسبع عشرة مدرسة شافعية، وأحرقت خمس مكتبات أخرى، ونُهبت سبع مكتبات، وبيعت كتبها بسعر الورق.

وكان من المدارس المهمة في ذلك الوقت نظامية نيسابور، وكان التدريس فيها منوطًا من الخواجة نظام الملك بإمام الحرمين أبي المعالي الجُويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ وكان أُستاذَ الغزالي، وأكبرَ علماء الشافعية في عهده. وكان فيها من المعيدين أبو نصر السراج المتوفى سنة ٥١٨هـ، وأبو الحسن الكياهراسي زميل الغزالي في الدراسة المتوفى سنة ٥٠٤هـ، ودرّس فيها الغزالي، ثم تلميذه محيي الدين محمد بن يحيى المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

أما الحياة الأدبية في عصر العطار فتكاد تكون أخصب العصور أدبًا، فمن شعراء ذلك العصر: الخيام المتوفى سنة ٥٢٧هـ، وسنائي المتوفى سنة

---

(١) كانت خراسان منشأ لكثير من المتصوفة مثل: إبراهيم بن أدهم، وشقيق البلخي، وبشر الحافي، والفضيل بن عياض، وأبي يزيد البسطامي، وحاتم الأصم، وأبي حفص الحداد، وأبي عثمان الحيري، والقشيري، والغزالي، وأبي سعيد بن أبي الخير، والعطار، وجلال الدين الرومي.

٥٤٥هـ، وصابر الترمذي المتوفى سنة ٥٤٦هـ، وجمال الدين الأصفهاني المتوفى ٥٨٨هـ.

فريد الدين العطار:

ما رأيت شخصيةً الشكُّ فيها أقرب إلى اليقين، واليقين أقرب إلى الشكِّ من شخصية فريد الدين العطار، فلا تكاد تسلمُ له قضية، ولا يصحُّ له أمر، فالناس قد تقاسموه، وانتهبوا ميراثه.

وكلٌّ يدّعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا

وشخصية العطار ليست وليدة علوٍّ في أفكارها، أو سموٍّ في اتجاهها ونظرتها فقط، وإنما انقسم الناس حولها حبًّا بها وإعجابًا، وتناحرًا في لمِّها إلى جماعتهم، ومحاربة في ضمِّها إلى مذهبهم ومشربهم، ولا أعني هذا إلا المذهبية عندما تصبح أداة قتل وتدمير، وسرقة كل شيء حتى التراث والإبداع والإنسان.

ولا أستطيع في هذه العجالة إلاّ أن أقدّم دراسةً عامة لن تشفي غليلاً أو تروي صاديًا، كما أنها لن تقرّ عين باحثٍ متخصص، وما ذاك إلا لتجاوز أبحاث لن أخرج منها بيقين وقرار، بل سأنتهي إلى رجم وظنون، واستعراضٍ لأقوال حائرة، ما تلبث أن تغدو سرابًا.

وكأني بالعطار قد ترجم لنفسه دون أن يقصد[1]:

قلتُ: صف لي على الطريق منارًا ... قال: ما في طريقنا من منار
إنّه من وضوحِهِ في ظلامٍ ... ويُرى من خفائِهِ كالنَّهارِ

هذا هو العطار الذي قال عنه الدكتور عبد الوهاب عزام: فلمّا وقعتُ في بحر هذا الشاعر راعني لجُّهُ، وهالني موجه، فجهدت حتى رجعت إلى الساحل، وقنعتُ بأن أصفَ سعةَ الماء واضطرابه، وتتابع أمواجه، وعراكها

(١) التصوف وفريد الدين العطار صفحة ٢.

الدائم، وما يقذف الموج حينًا من جواهره أو حيوانه، لم أستطع ركوب أثباجه إلى مجاهله، ولا الغوص في لُججِهِ إلى قاعه[١].

ـ هو أبو حامد[٢] ـ وقيل أبو طالب[٣] ـ محمد بن أبي بكر بن إسحاق الملقب بفريد الدين العطار.

ـ ولد في قرية كدكن من أعمال نيسابور[٤] في عهد السلطان سنجر بن ملكشاه[٥].

ـ كان والده صالحًا تقيًّا يعمل بالعِطارة[٦]، وورث عنه فريد الدين هذه المهنة إضافة إلى الصلاح والتقى، وكذا كانت أُمُّهُ ورعةً صالحة، وصفها في كتابه «خسرو وكل» بقوله:

لم يكن لي أنسٌ إلاّ بأمي
وقد ذهبتْ.
كم شدَّتْ أزري هذه الضعيفة التي كانتْ خليفةً من مملكة الدين.
لقد كانتْ ضعيفةً كالعنكبوت.

(١) التصوف وفريد الدين العطار صفحة ٤.
(٢) اقتداءً بأبي حامد محمد بن محمد الغزالي. وكلا الرجلين لم ينجب حامدًا.
(٣) نُحلت له هذه الكنية اقتداءً بأبي طالب أبي علي كرّم الله وجهه لإثبات ميله لآل البيت، بل تشيّعه.
(٤) اختلف في مكان ولادته؛ فمنهم من يقول في كدكن، ومنهم من يقول في شادياخ. ويرجّح الدكتور أحمد ناجي القيسي ولادته في مدينة نيسابور نفسها في كتابه: عطار نامه صفحة ٦٩.
(٥) لا نستطيع أن نحدد تاريخ ميلاد العطار تحديدًا دقيقًا جازمًا؛ لأن أقدم مصدر سجل لنا تاريخ ميلاده هو كتاب دولتشاه الذي بينه وبين العطار ثلاثة قرون تقريبًا، والتاريخ الذي ذكره هو استنتاج واجتهاد. وقد ذكر لولادته ست عشرة رواية أولها بحدود سنة ٥١٢هـ، وآخرها سنة ٥٥٥ هـ. ورجّح الدكتور القيسي ولادته بين سنة ٥٢٨ و٥٣٦هـ.
(٦) العطارة مصطلح يشمل الطب وبيع الدواء، ويتضمن معرفة العقاقير المختلفة والأشربة والعطور، وكيفية المحافظة عليها، وكيفية خلطها وتحضيرها، والمعالجة بها.

ولكنّها كانت لي حصنًا ودرعًا.

كانت رابعة الثانية؛ بل أتقى من رابعة.

بقيت تسعةً وعشرين عامًا تلبسُ حقيرَ الثياب وخشنها.

وكانت تقوم الليل دعاءً وبكاءً.

وبذا فقد نشأ الشاعر بين أبوين صالحين، فلا غرو أن يكبر وينمو في قلبه حبُّ الصلاح والدين والورع، وحب التصوف والصوفية.

- مارس فريد الدين العطار مهنة أبيه. وكان يتردَّدُ عليه كلَّ يوم خمس مئة مريض، فيفحصهم ويعطيهم الدواء، كان يعمل ليلاً ونهارًا حتى وقت اعتكافه في زاويته، فجعله ذلك ميسور الحال غنيًّا، بل ثريًّا.

- لم يذكر أحد شيئًا عن أسرة العطار، وكل ما ذهبوا إليه هو استنتاجٌ من أشعاره. ويحوم الشك حول زواجه، هل تزوج أم مات عزبًا؟ ويَستنتج من جعله ربًّا لأسرةٍ متزوّجًا أنه رزق بمولود أسماه يوسف ضياء الدين، وقد توفي وهو في الثانية والثلاثين، ورُزِيء فريد الدين العطار بموت زوجته أمّ ولده بعده، ثم لحقتهما أمُّهُ الحنون المعطاء.

ولا يستند الفريقان - مَنْ جعله أبًا، ومَنْ رأى أنه لم يتزوج أصلاً - إلى خبرٍ يقينٍ، بل كما أسلفت إلى جملة من أشعاره، وتأويلٍ لنصوصه النثرية.

بقي في نيسابور ثلاثة عشر عامًا يعمل بمهنة العطارة كدًّا وتعبًا، لكنه لم ينس نصيبه من العلم، فراح يجمع الكتب ويطالع فيها قراءة وتدبرًا. نما في قلبه حبُّ التصوف والصوفية منذ الطفولة، فسار في طريقها متدرجًا، سيرة طبيعية أساسها الدراسةُ لأحوال القوم وأخبارهم وأقوالهم، وسَنَدُها تذوُّقُه لهذا المشرب، وملاءَمة مزاجه لهذا المسلك، وحاضِنتُها بيئةٌ طيبة متدينة: أبٌ ورع، وأم معطاء تقية.

جلس في صيدليته يبيع الدواء ويداوي المرضى، ويغتنم ساعاته في تأليف

مثنوياته، وكتب في صيدليته كتابيه: «مصيبت نامه» و«أسرار نامه».

أما الحدث الذي غيَّر مجرى حياته، وبدَّل سلوك ذاته، وجعله صوفيًا زاهدًا سالكًا لطريق القوم تاركًا الدنيا وأشغالها، فهو ما ذكره عبد الرحمن جامي في كتابه «نفحات الأنس» ص ٧٩٣ قال: كان سببُ توبته أنه كان يومًا في دكان العطار مشغولاً ومشغوفًا بالمعاملة، فجاء فقير، فسأله مرارًا: لله شيء. وما التفتَ إلى الفقير، فقال: يا خواجه، كيف تموت أنت؟ قال الشيخ العطار: كما أنت تموت. قال الفقير: أنت تقدر تموت كما أنا أموت؟ قال العطار: نعم. وكان للفقير قدحٌ، فوضعه تحت رأسه، وقال: الله، ومات. فتغيّر حال الشيخ فريد الدين، وتصدّق بما كان في ملكه، ودخل طريق الصوفية[١].

لقد كانت هذه الحادثة سبباً لتحرر ذاته من إسار ذاتها، وتوجهها إلى فضاء المحبة والقرب من الله.

شيوخ العطار: لمَّا تمَّت توبته ـ بعد موت الفقير بين يديه ـ ذهب إلى شيخ شيوخ نيسابور ركنِ الدين عبد الرحمن بنِ عبد الصمد الأكّاف، وانشغل بالمجاهدة والمعاملة، فلازمه عدة سنين في حلقات الذكر، وخرج عن كلِّ ما كان له في سبيل الله، واتّصل بخدمة مولاه الذي كان من عرفاء العصر علمًا وفنًا وقربًا[٢].

ـ الشيخ قطب الدين حيدر: صاحب رياضة، كان من الأبدال، مجذوبًا

---

(١) يشكك أغلب الباحثين ـ ومنهم: عبد الوهاب عزام، وأحمد ناجي القيسي، وبراون ـ بصدق هذه الرواية التي يهواها العامة وأشباه العامة ممن يؤمن بالحوادث الظاهرة المفاجئة أكثر من إيمانهم بالتأمل الخفي المديد.

(٢) يقول الدكتور القيسي: إن وفاة الأكاف كانت سنة ٥٤٩هـ، فإن كانت ولادة العطار ما بين سنة ٥٢٨ـ ٥٣٦هـ فقد كان عمره عند وفاة الأكاف بين سن ١٣ـ ٢١ سنة؛ فكيف تاب على يديه، على حين أنه أشار في كتابه «خسرو نامه» إلى أنه ابتدأ تأليف «مصيبت نامه» و«إلهي نامه» وهو في الصيدلية، وكان عمره لا يقل عن ستين سنة. وتوبته كانت بعد خروجه من الصيدلية.

مطلقًا، مُعْتَقَدًا به، صاحب كرامات ومقامات، وقد توفي سنة ٥٩٧ أو ٦٠٢ للهجرة، وكان العطار وأبوه من مريديه[١].

ـ الشيخ مجد الدين البغدادي: شيخ الشيوخ ومعدن الفضل، كان في طبّ الأبدان مسيح الزمان، ونادرةَ الدنيا، التقاه العطار، وقيل أخذ منه الخرقة[٢].

ـ نجم الدين الكُبْرى: العالم الفاضل المجاهد، وأول من ذكر صلة العطار به الخواجه كلان البلخي في كتابه «ينابيع المودة» الذي ألّفه سنة ١٢٩١هـ، ولم يرد اسم نجم الدين الكبرى في أي أثر من آثار العطار، فكأن هذا من تأليف كلان نفسه.

ـ الشيخ ابن الربيب: كان عالمًا بالفقه والأصول والقرآن، عابدًا زاهدًا، شافعيًا، اعتزل الناس واشتغل بالعبادة. مدحه العطار في مثنوية «خسرو نامه». وقد بنى بعض الباحثين على مدحه لابن الربيب أنه كان مريدًا له، وهذا أمر يحتاج إلى دليلٍ آخر.

ـ الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير: المتوفى سنة ٤٤٠هـ (انظر ترجمة العطار له في كتاب التذكرة صفحة (٧٤٩) وهي من أطول التراجم) وقد ذكره في جلّ كتبه[٣]، وبيّن أن ما وصل إليه إنّما كان مستمدًا من روحانية هذا الشيخ. وأخلص له، حتى قال في ديوانه:

إنني أدرك أن كلّ حظٍّ أجده في هذا الزمان من أنفاس أبي سعيد.

---

(١) ينكر الدكتور القيسي أن يكون العطار مريدًا لقطب الدين لأنه الصوفي الوحيد الشيعي بين متصوفة إيران. وشرط الصوفية أن يلبس المريد الخرقة من يد شيخ سنّي عالم بالشريعة والطريقة، وقطب الدين لم تتوفر فيه هذه الشروط. وقد بلغ الحال بأصحاب حيدر أن جعلوا للعطار كتابًا نظمه مدحًا لهذا الشيخ هو: «حيدر نامه».

(٢) كذلك ينكر الدكتور القيسي أن يكون العطار مريدًا له، فمجرد اللقيا لا تعني التتلمذ، أما حديث الخرقة، فخبرٌ مشكوك فيه.

(٣) لقد أكثر العطار من مديح الشيخ أبي سعيد اعترافًا بفضله وروحانيته، فذكره في تسع حكايات بمصيبة نامه، وفي خمس حكايات بإلهي نامه، وفي ثلاث حكايات بمنطق الطير، وفي حكاية واحدة بأسرار نامه.

كما أنني أحظى في كل لحظة بنصيب وافر من سبل مدده.

ـ وكان من مشايخه الذين تأثر بهم دون أن يراهم الإمام الغزالي؛ فقد كان ملهمًا ومرشدًا له في أجلِّ أعماله وأعظمها أثرًا «منطق الطير»، إذ أخذ أصولها عن مؤلف الغزالي «رسالة الطير».

وبناء على ما مرّ يصحُّ في هذا الشأن ما نقل الجامي من أن العطار كان أُويسيًا (أي إنه حصل على التربية الصوفية، وقطع مراحل السلوك بلا شيخ، كما تربى أُويس القرني في حجر النبوة، ولم يكن له تشرُّفٌ برؤية النبي ﷺ).

لقد ارتقى ووصل وحده دون الاستعانة بشيخ يحدوه لهذه المرتبة التي وصلها، ولذلك النَّفَسِ الطاهر الطيب. نشأةٌ في بيئةٍ عطرةٍ صالحةٍ، وحبٌّ لأولياء الله ملأَ كيانه، وتذوّقٌ لكلماتهم وحكاياتهم. أضف إلى هذا نفسيةً شاعرة رقيقة محبة عاطفية، وجدت في التصوف ما افتقدته في كل ما رأته من مدارس ومذاهب.

أسفار العطار: ترك فريد الدين العطارة، وبقي في نيسابور ما يقرب من ثلاث عشرة سنة بين حلقات الذكر ومجالس رجالات القرب، ثم سافر في طلب المشايخ والأولياء، وساح في الرَّيِّ والكوفة ومصر ودمشق ومكة والهند وتركستان، ثم ألقى عصا التسيار في نيسابور.

ولكن الدكتور القيسي يشكك في هذه الرواية أيضًا في كتابه «عطار نامه»، معتمدًا على سِنِّ العطار؛ فقد بلغ من العمر عتيًا، ولا يمكن لرجل في مثل سِنِّه ظهره كالقوس، ولا يصلح لعملٍ أن يتجشَّم عناء هذا السفر الطويل، ذكر هذا الحال من الضعف العطار نفسه في كتبه.

نعم، قد ذُكرت هذه الأسفار في أشعاره؛ ولكن هل كانت هذه الرحلات حسيّةً أم معنوية؟ فليس هناك دليل قاطع عليها.

وفاة العطار: ما أعجب حال العطار! لقد حجبتْه عنا سحبٌ كثيفة من الأساطير والخرافات، فلم نتبيَّنْ شيئًا يُذْكر من جوانب حياته على وجه

التحقيق. وحاله وهو يفارق الدنيا ويتوارى عنها كحاله يوم ولد، وكحاله في عمره المديد. على أن تلك الأساطير والخرافات لم تفارقه حتى مات، بل حتى بعد أن مات، وكلّما مرَّ الزمان ازداد شيخنا احتجابًا خلف تلك الأساطير والخرافات، والظنون والأوهام.

ذكرت المصادر استشهاده على يد التتار عندما دخلوا نيسابور سنة ٦٠٧هـ، وقال الجامي مؤرِّخًا في «النفحات» إنها كانت سنة ٦٢٧، وكان سبب استشهاده أن مغوليًا استطاع أسره، فجاءه مريدٌ للشيخ، وقال: أعطيك فداءه ألف درهم ـ وقيل: جاءه ثلاثة طلاب من طلاب الشيخ، وقالوا: نعطيك وزنه ذهبًا ـ فأراد المغولي أن يتركه. فقال له الشيخ: لا تبعني، فسيفتدونني بأفضل من هذا الثمن. فقال شخص آخر: لا تقتل هذا الشيخ؛ فإني أعطيك كيسَ تبنٍ ثمنًا له. فقال الشيخ فريد الدين: بعني؛ فإني لا أُساوي أحسنَ من هذا. فما كان من المغولي إلا أن سلَّ سيفه مغضَبًا، وقتل الشيخ.

قيل: إن العطار بعد قتله أمسك برأس نفسه بين يديه، وجرى مقدار نصف فرسخ ـ حيث مرقده الحالي ـ وهو ينظم كتاب «بيسر نامه» أي مقطوع الرأس.

كذا ذكرت مصادر ترجمة العطار قصة موته، ولكن سنة ٦٢٧هـ التي قيل إنها سنة استشهاده أو سنة ٦١٧هـ لا تلائم وقائع زمان جنكيز خان التي كانت قبلها، ولا وقائع زمان هولاكو التي حدثت بعد ذلك.

إن عدم إشارة العطار إلى حروب خوارزم شاه وحوادث خراسان المهمة بين سنة ٦٠٦ و٦١٦ تزيد من اليقين بأن العطار لم يكن حيًا في تلك الحقبة.

جمع الدكتور القيسي ثمانية وعشرين تأريخًا الوفاة العطار، ينزل أقدمها إلى سنة ٥١٠هـ ويصعد أحدثها إلى سنة ٧٢٧هـ.

وهكذا فإن المؤرخين لم يختلفوا في تعيين تاريخ وفاة رجلٍ من الرجال اختلافهم في تعيين تاريخ وفاة العطار.

وأنسب ما يُذكر عن عمر العطار ما أورده مؤلف كتاب «مجمل فصيحي»: سنة ٦٠٧ للهجرة. وبه يكون العطار قد عُمّر نحواً من سبعين سنة، وهذا استنتاج من أشعاره أيضاً، فهو يقول محدثًا نفسه:

إن كنتَ قد قضيت سبعين عامًا

فليس هذا بعجيب

ولكن العجيب أنَّ نفسَكَ تزداد سوءًا في كل لحظة.

ولا يعني هذا أنه قالها وهو على فراش الموت؛ ولكن استئناسًا واستنتاجًا لتقديره عمره، إذ لم يذكر بعد هذه الأعوام أعوامًا أخرى، وقال أيضًا:

لقد جثم الموت أمام مدخل الوادي مئة مرة

والآن تخطّى عمرُكَ الستين

ووصل إلى ما بعد السبعين ببضع سنين.

وحتى هذا التاريخ لا يزال بحاجه إلى قرائن وأدلة تقوّي احتمال صحّته.

وكما اختلفوا في سنة وفاته، اختلفوا أيضًا في مكان قبره، حتى ذهب الباحث برتليس إلى أن قبره في مكة شرّفها الله، وقد بنى رأيه على كذبةٍ وفرية تقول: إن أهل السنة نفوه عن نيسابور بعد أن أظهر تشيّعة.

أخلاق العطار ومذهبه: العطار رجلٌ عابد زاهد، سلك سبيل مجاهدة النفس وتصفيتها، ولا شك أن من يسلك هذا السبيل لا بدَّ أن يكون قد بلغ أسمى درجات الكمال، إنها أخلاق الصوفي الحقّ المتمسّك بمحاسنها، البعيد عن مساوئها، المحبّ لجميع ما خلق الله، العاطف عليهم.

والعطار مبغضٌ للتعصب، آية ذلك أنه عقد فصولاً في كتبه لذمّ التعصب المذهبي المقيت، مترضيًا عن الصحابة أجمعين، معتبرهم مصابيحَ الوجود، قال العطار في «أسرار نامه»:

لقد جلستَ في كلِّ عمرك في هذه المحنة

فلستُ أدري متى تعبد الله.

كان سنيًا متسامحًا، أحبَّ أبا بكر وعمر وعليًا والأئمة، حبًا مبنيًا على حقيقة الإيمان القائم على صحة الاعتقاد.

ولكن هل هو كما قيل: إن العطار يبدو في أمهات آثاره سنيًا إذ يمدح الخلفاء الراشدين، ولكنَّه في أواخر حياته أظهر تشيّعه عندما ألف كتابَيْه «مظهر العجائب»[1]، و«لسان الغيب»[2] وهما كتابان تفوح منهما رائحة التشيُّع. مدح فيهما عليًا كرم الله وجهه والشيعة. فهو شيعي أخذ بالتقِيَّة، وكان تشيّعُهُ سببًا في ثورة أهل السنة عليه واضطهادهم له، حتى كبسوا داره، ونهبوا أمتعته، وهدّدوا حياته؛ بل أحرقوا كتبه. هذا ما قاله الباحثون الشرقيون، وأغلب المستشرقين.

لقد اعتمد هؤلاء في رأيهم هذا على مدحه آل البيت رضوان الله عليهم والأئمة الأبرار لإظهار حجتهم، ولكنهم نسوا أن حبَّ آل البيت عند أهل السنة والجماعة من الإيمان، ونسوا أيضاً أنَّ العطار صوفي. ولا ينكر حبَّ الصوفية لآل البيت والأئمة إلا كلُّ معاند جاحد.

لقد ورد في أشعاره ما يقدح هذا، فهو يروي أن أبا بكر الشبلي قال: من جملة فِرق العالم التي خالفَتْ، ليس أحدٌ أكثر دناءة من الرافضي والخارجي.

وقد ذم التعصبَ الشيعي، وكُرْهَ الصحابة في كتبه: «منطق الطير» و«مصيبت نامه» و«أسرار نامه». ولو كان العطار شيعيًا لذمّ تعصب أهل السنة للخلفاء الثلاثة الأُول وللصحابة.

---

(١) يرجح الدكتور محمد جمعة في مقدمة كتاب منطق الطير صفحة ٢٦ أن كتاب ينابيع المودة ـ المدسوس على العطار الذي لم يسنده أحد مطلقًا إلى العطار قبل عام ١٢٩١هـ ـ هو كتاب «مظهر العجائب» نفسه.

(٢) وهذان الكتابان يجزم أكثر الباحثين بنحلهما على فريد الدين العطار.

إن العطار يُنكر على التعصب والمتعصبين في مقدمة «منطق الطير»، حتى إنه يَعُدُّ المتعصبَ جاهلاً، فهو يقول:

يا من وقعت أسير التعصب
وظللت أبدًا أسير البغض والحب
إن كنت تفخر بالعقل والحكمة، فكيف وقعت أسير التعصب؟
فيا جاهلاً، لا رغبةَ في الخلافة
إذًا كيف تتأتى الرغبةُ لأبي بكر وعمر!؟

وفي المقابل أثنى العطار على كثيرٍ من كبار أهل السنة من أمثال: أبي سعيد بن أبي الخير، وأحمد الغزالي، وابن الربيب، والأكّاف، ونظام الملك وغيرهم. فإذا كانت التقية سببًا لثنائه على الأحياء، فأي سبب يدعوه إلى الثناء على الأموات منهم؟!

وأهل السنة ليسوا أعداءً لأهل البيت، بل يحبونهم ويبجّلونهم، ويزورون قبورهم ويحترمونها، وعقلاء الإيرانيين لا ينكرون هذه الحقيقة. يقول الأستاذ سعيد نفيسي: إن أتباع السنة في إيران لم يتشدَّدوا في شأن الأئمة الإثني عشر قط، وإن التفاوت الواضح الذي بين تَسنُّن إيران وتسنن البلاد الإسلامية الأخرى هو في هذا الأمر نفسه. وشيعة إيران أيضًا، حتى ما قبل العهد الصفوي لم يسيئوا القول بشأن الخلفاء الثلاثة والصحابة والتابعين.

ولم ينتظمِ الشيعةُ في سلك التصوف في إيران إلاّ في وقتٍ متأخر. وحتى القرن السادس كان كبار الصوفية في إيران أحنافًا، وكان نجم الدين الكُبرى شافعيًا، ولم يظهر التشيّعُ في الفرق الصوفية إلا في القرن الثامن.

يقول الأستاذ نفيسي: إن العطار سنّي شافعي.

أما الدكتور عبد الوهاب عزام فيقول في كتابه: «التصوف وفريد الدين العطار» صفحة ١٢٢: إن العطار سنّي متشدّد.

أما دوتاسي في مقدمة ترجمته الفرنسية لمنطق الطير، ونيكلسون فيريان العطارَ كاتبًا سنيًا.

وينبغي ألا ننسىٰ أنه ألَّف آخر كتبه «تذكرة الأولياء» في تمجيد الزهاد والصالحين من أهل السنة، ولو كان شيعيًا لما فعل هذا البتة. وهل يُعقل ما قيل عنه إنه ألَّف هذا الكتاب تقية أيضًا؟ ولو افترضنا أنه أخذ بها حرصًا على نشر مثنوياته، فما الذي يجبره على أن يؤلف كتابًا كاملاً ضمّنه الثناء على سبعة وتسعين وليًا سنيًا.

ثقافة العطار: كان العطار صاحب ثقافة موسوعية شاملة، فهو لكثرة ما درس ووعى وتمثّلَ من ثقافات متشعّبة الفروع متنوّعة الفنون غدا مكتبةً حيّةً ودائرةَ معارف تدرج على الأرض، فهو عارف بالتاريخ القديم، مُطّلع على أساطيره، ملمٌّ بالأديان القديمة، مستوعب لقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي مثنوياته تجد الكثير من الإشارات إلى التاريخ الإسلامي عامة، وإلى تاريخ إيران خاصة.

أما عن ثقافته الإسلامية (القرآن الكريم، والحديث الشريف، والمصطلح، والعلوم الدينية) فحدّث ولا حرج.

وأما معرفته بالتصوف فذلك لا يحتاج إلى دليل، بل يمكن أن تُعدَّ مؤلفات العطار دائرة معارف للتصوف؛ إذ لم يغادر جزئيةً من التصوف إلاّ شرحها، ولا مصطلحًا إلا ذكره ووضّحه.

وقد تضلّع العطار من اللغة الفارسية، واستوعب أدبها شعرًا ونثرًا، بل حفظًا وتمثّلاً.

أما معرفة العطار بالعربية وآدابها فلا تحتاج إلى دليل أيضًا، أَوَلَيْسَ هو مؤلف «تذكرة الأولياء» الذي هو ترجمة لأقوال سبعة وتسعين صوفيًا، لغتهم التي نطقوا بها وحكمهم ومواعظهم كانت في معظمها باللغة العربية.

وينبغي أن نذكر أن مقدمة الكتاب كتبها باللغة العربية بأسلوب فصيح مشرق.

ومن البديهيات التي لا تحتاج لبرهان ثقافة العطار الطبية والعشبية.

لقد عرف الجغرافية وعلم الفلك والموسيقا والفلسفة، وكان على ثقافة عالية شاملة كاملة، وإلمام كبير بأغلب فنون الثقافة في عصره؛ فشاعر عظيم، ومفكر كبير كالعطار لم يكن ليرضى أن يترك فنًا من فنون الثقافة في عصره دون أن يطلع عليه، ويأخذ بنصيب وافر منه.

غير أننا لا نستطيع بعد أن سكت التاريخ أن نتبيَّنَ على مَنْ درس علومه، ومَنْ كانت شيوخه.

منزلة العطار: إن المقام العظيم الذي تبوّأه العطار في الأدب الفارسي جعل المؤلفين يجلّونه ويذكرونه ذكرًا جميلاً مقرونًا بالإكرام مشفوعًا بالاحترام، ولو رحنا نعدّد ما قالوه لسوّدنا الصفحات بذكر مآثره البيضاء:

قال دولتشاه في كتاب «تذكرة الشعراء»: هو سلطان العارفين، فريد الملة والدين، مرتبته عالية، ومشربه صافٍ، وكلامه يُدعى سوط أهل السلوك. وقد كان وحيدًا في الشريعة والطريقة، وهو شمعُ الزمان في الشوق والتضرع والاحتراق والفناء المستغرق في بحر العرفان، الغوّاص في بحر الإتقان.

وقال شفق في كتابه «تاريخ أدبيات إيران» ص١٢٣: هو أحد عظماء مذهب العرفان وأئمته وشعرائه.

كرامات العطار: إن احترام الناس للعطار، ونظرة الإكبار والإجلال والتقديس له جعلتهم ينسبون إليه الكرامات، كما نسبوها لغيره من عظماء الصوفية، وقد ذُكر ما لا يُحصى كثرةً من الأقاصيص المتعاضة في كراماته، وهم يتجاوزون فيها حدود بشريته، ويذكرون عنه أشياء لا تصدق، نكتفي بذكر أكثرها غرابة، (ذكرت قبل) وهي: لما قطع المغولي رأس الشيخ عن جسده بالسيف، أمسك الشيخ المقتول رأسه بكلتا يديه، وجرى نصف فرسخ،

فشملت القاتل الحيرة، فجرى في أثره، وطوى مسافة نصف فرسخ حتى وصل إليه، فأمسك بجسد الشيخ، فسقط الجسم بلا رأس ميتًا على الأرض.

ولم يكتفوا بهذا، بل قالوا: إنه ـ وهو على هذه الحال ـ نظم كتاب «بيسر نامه» أي كتاب مقطوعِ الرأس.

آثار العطار الأدبية: لم يتفق البحاثة والنقاد على عدد مؤلفات فريد الدين، فقد ذكر دولتشاه أنه ألف أربعين كتابًا، والقاضي الشوشتري جعل مؤلفاته بعدد سور القرآن أربعة عشر ومئة كتاب، أما رضا قلي خان هدايت فقد جعلها مئة وتسعين كتابًا. وقد أوصل جولبنار لي التركي وريتر الألماني مؤلفات العطار إلى ثلاثين كتابًا، وقام الأستاذ سعيد نفيسي بعمل إحصاء لجميع أسماء الكتب التي قيلت إنها من تأليف العطار فوصل العدد إلى ستة وستين كتابًا.

ولن نستطيل بذكر مؤلفاته وما قيل عنها، ولنكتف بما ذكره هو عن كتبه في كتبه: «خسرو نامه»، و«مختار نامه»، و«تذكرة الأولياء» ما دامت صحيحة النسب إليه، وأول مؤلفاته المنسوبة إليه يقينًا:

١ـ الديوان: وقد جمعه هو بنفسه، ولم يرتبه بحسب الأنواع الشعرية، ولا بحسب الحروف الأبجدية، ولا بحسب البحور الشعرية. يشتمل على أكثر من مئة قصيدة، وأكثر من ألف غزلية وقطعة. أما المطبوع من ديوانه، فهو أقل من هذا العدد.

ومعاني التصوف غالبة على ديوانه، أما غزلياته فتندرج تحت ثلاثة أنواع:

الأول: الغزل الحسي الذي يتناول وصف الزلف والخط والخال وسائر أعضاء المعشوق، وللمتأول أن يقول: إنه قصد غير ما يُتوهَّم من هذا الشعر الظاهر.

الثاني: العرفاني، وهو يتناول الموضوعات الصوفية من فناء وبقاء، ووحدة وجود، وما يتعلق بالحب الإلهي.

الثالث: القلندريات[1]: وهي تدور حول تخريب الظاهر، وتحصيل سوء السمعة، والعمل بما يخالف العادات.

أما قصائده فجارية مجرى الغزليات، فمنها ما يشتمل على معانٍ صوفية، ومنها ما يشتمل على وصفٍ لأحوال النفس، ومنها ما يشتمل على معانٍ في الزهد، وتأسُّفٍ على العمر، ومنها ما يشتمل على وصف ذاته في آخر عمره من انحناء الظهر، والشيب والضعف، ومنها ما يشتمل على غزل حسي.

٢ـ **مختار نامه**: وهي أقدم مجموعة مرتبة وصلت إلينا من الرباعيات في الأدب الفارسي، كان العطار قد نظم ثلاثة آلاف رباعية (أي ستة آلاف بيت) ثم غسل منها ـ على حدِّ قوله ـ ما يقرب من خمس مئة رباعية، أي نحو ألف بيت، فأطلق على الرباعيات الألفين والخمس مئة الباقية اسم «مختار نامه».

وقد قسّم العطار ما انتخبه إلى خمسين بابًا، يمكن تقسيمها إلى سبعة أقسام: التصوف، الدين (مدح الرسول ﷺ والصحابة)، العشق، الغزل المادي، ما يتعلق بشخصه، وصف الطبيعة، القلندريات، والخمريات.

وعلى الرغم من تكرار المعاني، فإن القارئ لمختار نامه لا يشعر أنه يقرأ رباعيات لا صلة لإحداها بالأخرى، فإنَّ تدفّق المعاني وتسلسلها وتقاربها تجعل الكتاب وكأنه قصيدة واحدة طويلة.

٣ـ **خسرو نامه**: يتألف هذا المثنوي من (٨٣٦٥) بيتًا، وقد نظمه العطار من بحر الهزج، وهي قصة شعبية تروي قصة خسرو ابن قيصر الروم، ومجيئه إلى فارس، وعشقه. وقد ضمّن العطار هذه القصة الغرامية كثيرًا من المعاني العرفانية، وشفع حوادثها بالاستنتاجات الأخلاقية، وملأها بالنصائح الكثيرة من البعد عن الطمع وهوى النفس، ودروس في التحمّل والصبر، وفوائد الصدق والتوكل، وترك العلائق الدنيوية.

---

(١) القلندرية: طريقة صوفية ظهرت في خراسان، تقوم على الرضا واحتقار العالم الزائل والامتناع عن كل بهرج خارجي، وقد تأثرت بالمعتقدات الهندوسية والبوذية. انظر نفحات الأنس صفحة ٢١.

٤ـ إلهي نامه: (الأسرار المشهودة) يحتوى هذا المثنوي على (٧٢٩٢) بيتًا، والكتاب لا يعدو حوارًا يقع بين خليفة وأولاده الستة، يجلسهم الأب أمامه، ويسألهم واحدًا واحدًا: ماذا تطلب من هذا العالم حتى أساعدك على نيل مرادك؟. كلٌ واحدٍ منهم يطلب طلبًا حسيًا (زواج ـ ماء الحياة ـ السحر. . .) فيوضح له الأب الخليفة حقيقةَ الأمر والفناء، وينتظم الحوار مجموعةٌ كبيرة من الحكايات، يغلب عليها الطول والجانب الديني (الزهد، وترك الدنيا، ولقاء الموت. .).

٥ـ مصيبت نامه: (حسرة العالم): مثنوي يحتوي على (٧٥٣٩) بيتًا من بحر الرمل المسدس المقصور، وبعد مقدمته يقسّم العطار كتابه إلى أربعين مقالة تبتدأ بسفر السالك إلى جبرائيل، وعندما يصل إليه يسأله عن الطريق، فيجيبه أنه لا يعرف ، ولا يستطيع إرشاده، فيمضي السالك إلى الملائكة والشمس والكواكب والتراب والماء والوحوش والجن والإنس والأنبياء فلا يجد عند أحدٍ منهم ما يطلب، ويعود إلى شيخه، فينصحه أن يذهب إلى محمد ﷺ، فيتظلم إليه، فيبيّن له ﷺ أن الطريق إنما يبدأ من القلب، وأن مقامات الطريق أو منازله خمسة هي: الحسّ، فالخيال، فالعقل، فالقلب، فالروح أخيرًا، فيرجع السالك إلى شيخه، فيعرض عليه ما رأى وما سمع، فيبين له أن الفقر المحض يجعل الإنسان في جوار الله تعالى، وينتهي سفر السالك في نفسه بوصوله إلى مقام الروح. ويتخلّلُ الكتاب حكايات كثيرة يوضح فيها العطار أفكاره.

ولكن؛ لماذا سمى العطار كتابه بمصيبت نامه؟ يُجيب فروزانفر عن هذا السؤال معللاً بشيئين:

الأول: إن هذا السالك يعرض مشكلته على كلِّ شخصٍ، فلا يحلّها أحدٌ، وأية مصيبة أكبر من أن يعرض المرء مشكلة على كل الموجودات الحسية والغيبية والملائكة والأنبياء فلا يشفي غلّته أحد.

الثاني: أفصح عنها العطار نفسه إذ بيّن أنه تحمّل جهدًا عظيمًا في ترتيب معاني كتابه وتنسيق ألفاظه.

إن تسمية كتابه بمصيبة نامه هي نعي وعويل على البشرية كافة التي لم تتعرف على رسول الرحمة. البشرية التي اتّبعتِ السُّبل فتفرّقت بهم عن سبيله، فأنّى اتّجهتْ، وحيثما سلكتْ فالمصيبة آتية ما لم تلجأ لدليل الحائرين، وسراجِ العالمين محمد الأمين ﷺ.

٦ـ **أسرار نامه**: مثنوي يتألف من (٣٣٠٥) أبيات من بحر الهزج المسدس المحذوف، ويتألف من اثنتين وعشرين مقالة في موضوعات صوفية مختلفة لا يبدو عليها ترتيب منطقي، وهي أشبه بالخواطر.

وطريقة العطار في هذا الكتاب أنه يعرض فكرة موضوعه في أول كلّ مقالةٍ، ثم يوضّح تلك الفكرة بحكايات يناسب أول كل منها نهاية ما قبلها.

وقد كان لكتاب «أسرار نامه» عناية خاصة من سالكي طريق التصوف، وهو من الكتب التي كان لها تأثير كبير على مولانا جلال الدين الرومي.

٧ـ **منطق الطير**: أهم مثنويات فريد الدين، وهو من أوضح كتب التصوف التي تصور فكرة وحدة الوجود[(١)]، وقد نظمه من بحر الرمل المسدس المقصور، ويرى فروزانفر أن مقصود العطار في تسمية منطق الطير هو لسان الاستعداد، وظهور المرتبة والمقام عند سالكي طريق الحقيقة.

واقتبس العطار اسم كتابه من قوله تعالى في سورة النمل الآية (١٦): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ. . .﴾.

ولم يقتصر التأثير القرآني على اختيار العطار لاصطلاح منطق الطير[(٢)]، بل تعدّاه في ظلّ هذا التأثير إلى اختياره الهدهد دليلاً للطيور الثلاثين في سفرها

---

(١) يقول الدكتور بديع محمد جمعة: إن العطار يصور وحدة الشهود لا وحدة الوجود. انظر مقدمة منطق الطير صفحة ١١٧.

(٢) ولا ننسى ـ كما ذكرت قبل ـ أن العطار أخذ أصول كتابه «منطق الطير» عن مؤلف الإمام الغزالي «رسالة الطير».

الطويل خلال الوديان السبعة[١] بحثًا عن السيمرغ[٢]، وفي نهاية المطاف تصل إلى السيمرغ، فتجد نفسها هي السيمرغ، والسيمرغ هو هي، ثم أضاءت شمس القرب محرقةً كلَّ روح، فرأين السيمرغ حينئذٍ، وما أعجبَ ما رأين! كن إذا نظرن إلى السيمرغ رأين سي مرغ (ثلاثين طائرًا) وإذا نظرن إلى سي مرغ (الثلاثين طائرًا) رأين السيمرغ. وإذا نظرن إلى أنفسهن والسيمرغ معًا رأين السيمرغ وحده، فأخذتهن الحيرة، وسألن، فقيل لهن: إنّ هذه الحضرة مرآةٌ، فمن جاء لا يرى إلاّ نفسه.

جئتن سي مرغ (ثلاثين طائرًا) فرأيتن السيمرغ، كيف تدركنا الأبصار، كيف تنال الثريا عينُ النملة؟ ليس الأمر كما رأيتن وعلمتن، ولا كما قلتن أو سمعتن، ولكن قد خرجتن من أنفسكن، فهاهنا مكانكن، فامّحين، وضاع الظلُّ في الشمس.

فلمّا مضى مئات الآلاف من القرون ـ القرون التي لا زمان لها ـ أُرجعت الطير الفانية إلى أنفسها، فلمّا رجعت إلى أنفسها بغير أنفسها رجعت إلى البقاء بعد الفناء[٣].

أما عدد أبيات منطق الطير فيقع بين (٤٣٠٠ و٤٦٠٠) بيتٍ، وسبب الاختلاف هو اختلاف نسخ الكتاب الخطية.

---

(١) الوديان السبعة هي: وادي الطلب، العشق، المعرفة، الاستغناء، التوحيد، الحيرة، الفقر والغنى.

(٢) يقول الدكتور أحمد ناجي القيسي في عطار نامه ٢/ ٥٤٥: والسيمرغ كلمة مؤلفة من (مرغ) وهي الطائر و(سي) طائر كبير من الكواسر لعلّه النسر.

أما الدكتور جمعة فيقول: إنه طائر وهمي لا جود له.

وقال الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه التصوف وفريد الدين العطار: (سي مُرغ) بالفارسية تعني ثلاثين طائرًا (سي) تعني ثلاثين و(مرغ) تعني طائرًا.

(٣) التصوف وفريد الدين العطار صفحة ١١١ـ ١١٢. وقد ترجم الدكتور عبد الوهاب عزام بيتًا للعطار صفحة ٨١ يلخص فكرة الكتاب:

وما الوجه إلا واحد غير أنّه   إذا أنت عدّدتَ المرايا تعدّدا

والكتاب يتألف من مقدمة مدح فيها الرسول ﷺ، ثم مدح الخلفاء الأربعة، وذم التعصب بين السنة والشيعة، ثم يبدأ بسرد القصة، ويقسمها إلى خمس وأربعين مقالة، تضمنت حكايات وقصصًا بلغ عددها ١٨٠ حكاية تختلف طولاً وقصرًا، ثم الخاتمة.

وقد لخّص الشاعر الصوفي الهندي محمد أفضل اللاهوري المتوفى سنة ١١٢٧هـ الكتاب وفكرته في رباعية واحدة:

فتحت الطيور الثلاثون أجنحتها من الشوق

وطوت الهواء بحثًا عن السيمرغ

فلمّا عدَّتْ نفسها في آخر الأمر

رأت أنها كانت هي نفسها السيمرغ

إن فكرة الكتاب هي العروج والسفر إلى العالم الآخر بحثًا عن الله.

* * *

آثار العطاء النثرية:

للعطار أعمال نثرية صحيحة النسبة إليه، ذكرها في كتابه «تذكرة الأولياء»، ولكنها مفقودة، لذا لا يمكننا أن نذكر إلا عنواناتها وأماكن ورودها:

١ـ كتاب شرح القلب. (ذكره في التذكرة ص ٢٠، ٦٢٨).

٢ـ معرفة النفس والرب. (ذكره في التذكرة ص٢٠).

٣ـ كشف الأسرار. (ذكره في التذكرة ص٢٠).

٤ـ تذكرة الأولياء:

لم يذكر العطار هذا الكتاب «التذكرة» فيما ذكر من كتبه لا في مقدمة «مختار نامه» ولا في «خسرو نامه» وهذا يدل على أن العطار ألف «تذكرة

الأولياء»(١) بعد الانتهاء من تأليف كتبه المنظومة كلها.

وقد حصر العطار أسباب تأليفه هذا الكتاب فيما يأتي(٢):

الأول: رغبة إخوانه في الدين أن يؤلف لهم كتاباً عن الصالحين.

الثاني: أن يبقى هذا الكتاب ذكرى منه، فيذكره من يقرؤه بالدعاء.

الثالث: الاستفادةُ من كلام المشايخ.

الرابع: كلامُ الأولياء جندُ الله، فذكر كلامهم، وإيراد قصصهم يقوّي قلب المريد.

الخامس: أنَّ أرواحهم مددٌ له.

السادس: أنَّ كلامهم أعلى كلامٍ بعد القرآن الكريم والحديث الشريف.

السابع: أنَّ كلامهم شرحٌ للقرآن والحديث، يغني الناس عن اللغة والنحو والصرف.

الثامن: أنَّ كلام الحقِّ يؤثِّرُ في القلب.

التاسع: أنَّ قلبه ما كان يستطيع أن يقول أو يسمع غير هذا الكلام، فألَّفه حتى يشاركَهُ في ذلك أهل الزمان.

العاشر: أنه منذ صغره كان قلبه يموجُ بحبِّ هذه الطائفة.

الحادي عشر: أنَّ أشرار الناس قد نسوا أخيار الناس، فألَّف كتابه تذكرةً لهم.

الثاني عشر: أن تكون له به الشفاعةُ يومَ القيامة.

ويقول العطار: إن كتابه ليس في الدنيا أحسن منه... وإنه يجعل المُخنَّثين

---

(١) هذا هو العنوان الذي اختاره العطار وارتضاه، وأجمعت المصادر عليه سوى المستشرق بلوشيه، فإنه انفرد بتسميته: «تذكرة الأولياء وتبصرة الأصفياء»، وأغلب الظن أن كلمة (وتبصرة الأصفياء) جاءت زيادة من أحد نسّاخ الكتاب.

(٢) انظر مقدمة التذكرة صفحة (٢٥).

رجالاً، والرجال شجعانًا، والشجعان أفرادًا، والأفراد عين الألم...

يبدأ العطار كتابه بمقدمة عربية فصيحة تُناسب عقيدةَ الصوفية في الفناء ووحدة الوجود، ويؤكّد مضمونُها نسبتَها إليه حقًّا، إنه يقول فيها: الحمد لله الجواد بأفضل أنواع النعماء.. وتتلو هذه المقدمة مقدمةٌ أخرى بالفارسية يبيّن فيها سببَ تأليفه الكتاب، ويختمها بفهرست فصوله.

وتتألف «تذكرة الأولياء» من سبعة وتسعين فصلاً، يخصُّ كلَّ فصلٍ واحدًا من كبار الأولياء، وقد بدأ العطار الكتاب بترجمة الإمام جعفر الصادق، وختمه بالإمام محمد الباقر تبرُّكًا.

ويبدو أنّ العطار كان قد عقد النية في بادئ أمره على أن يترجم لاثنين وسبعين وليًا فقط، وعلى هذا الأساس جعل فهرسته في آخر المقدمة مشتملة على أسماء أولئك، مُبتدئًا بالإمام الصادقُ منتهيا بالحلاج. فلمّا أتمّ تأليف المجلد الثاني الذي جعله في «ذكر المتأخرين من المشايخ الكبار» مشتملاً على خمسةٍ وعشرين ترجمة نسي أن يكملَ الفهرست الذي وضعه في آخر مقدمة المجلد الأول من الكتاب.

ولهذا السبب صار بعض الباحثين يَشكّون في نسبة المجلد الثاني من «تذكرة الأولياء» إلى العطار.

ولعلَّ أولَ من أثار هذه المسألة هو ويلهلم بيرسج مؤلف «فهرست المخطوطات الفارسية في برلين» سنة ١٨٨٨م. فإنه وجد النسخة ذات الرقم ٥٨١ في فهرسته، المؤلفة من مجلدين لكتاب التذكرة؛ الأول تأليف العطار، أما الثاني فقد كُتب عليه تحت عنوان المجلد الثاني: «ذكر متأخران ان مشايخ كبار رحمة الله عليهم أجمعين» على يد أضعف الخلائق وأحقرهم الراجي إلى عفو الله تعالى وغفرانه محمود بن أبي القاسم بن عيسى بن حسين بن أبي القاسم الكفربابي العتيقي. فظنَّ أن من المحتمل أن يكون محمود هذا هو مؤلف هذا الجزء من الكتاب.

ويُبين نيكلسون أن الملحق كالأصل يبدو أنه من تأليف شيخ سنّي، وأن المجلدين مُتشابهان في الطريقة والأسلوب، ويقول: إن جهل حاجي خليفة مؤلف كتاب كشف الظنون بملحق الكتاب[١] لا يقدّم مُبررًا في الشك في أصالة نسبته إلى العطار، ويرى أنه من الممكن أن النسخة التي ألّفها العطار قد أُجريت عليها بعض التغييرات؛ بأن زيدت عليها بعض الترجمات، وعوّضت بعض مادته القديمة، أو وسّعت بمادةٍ جديدة.

يمكن القول إذن: إن المجلد الثاني من «تذكرة الأولياء» أيضًا من تأليف العطار، وهو يبدأ بترجمة إبراهيم الخواص، وينتهي بمحمد الباقر.

وظني أن الكتاب ظهر على يد مؤلفه مرتين متباينتين زماناً وبياناً وعددَ تراجم، فظهر أول مرّة وعدد تراجمه بضع وسبعون ترجمة، ولمّا نظر العطار به ثانية ـ بعد أن سار الكتاب، وتلقته الأمة ـ أضاف تَراجمَ أُخر إلى الأصل دون أن يُشير إلى استدراكه[٢]، فأوقع الناس بحيص بيص، فمن وصله الكتاب بصورته الأولى نقله وكتب عنه ما وجده، ومن وصله الكتاب بنسخته المعدلة مع استدراك مؤلفه وصف ما وجده بين يديه.

وفي كلا الأمرين حدث اضطراب وفوضى في التوصيف والإحصاء.

وطريقة العطار في تأليفه هذا الكتاب أنه يبدأ كلَّ ترجمةٍ بعدَّةِ جُملٍ مسجّعةٍ في مدح المترجم، وجملٍ تبيّن مكانته بين رجال التصوف، ثم يبدأ بذكر بعضِ أخباره، ثم يسردُ ما نُسب إليه من أقوال، ثم ينتقل إلى الحديث عن وفاته

(١) كشف الظنون ٣٨٥، وعبارته فيه: تذكرة الأولياء... ذكر فيه سبعين شيخاً من كبار المشايخ.

(٢) كاد يقع هذا مع عبد الرؤوف المناوي عندما سار كتابه «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» وهو «الطبقات الكبرى» ووجد بعد مراجعته أنه لم يذكر تراجم أهل اليمن والروم والشام والعجم، فأراد أن يلحقهم بكتابه؛ لكنه خشي أن يقع الناس في الوهم، فتختلف النسخ وتضطرب، فأفرد ما أراد استدراكه بمؤلف قائم بذاته: «إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن» أو الطبقات الصغرى.

وكراماته عند الموت، ثم الدعاء له بالمغفرة والرحمة.

ويرى فروزانفر أن العطار في بدايات تراجمه إنما هو مقلّد لأبي نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء»، وللهجويري في «كشف المحجوب» فقد سبقاه إلى هذا في ذينك الكتابين.

وقد أحصى فروزانفر ما في الكتاب من حكايات وأقوال، فإذا هي (٩٨٨) ثمان وثمانون وتسع مئة حكاية، و(٢٨٦٤) أربعة وستون وثمان مئة وألفا قول.

ولم يكن غرض العطار من تأليف كتابه أن يؤرّخ لمن ترجم لهم من الأولياء؛ بل كان غرضه منه التعليم والهداية، تعليم الناس التصوف بإطلاعهم على سير أعلامه وأقوالهم، وهداية الناس إلى طريق الله بذلك.

وإذا لم يكن العطار مؤرخًا في هذا الكتاب، لا ينبغي أن نطالبه بما نطالب به المؤرخ من التدقيق في نقل الأخبار، وتوخّي الصحة فيما يروي من حوداث ووقائع، ولهذا السبب نجد كتابه ـ كما يقول محمد بن عبد الوهاب القزويني ـ لا يخلو من التسامح في ضبط الوقائع وصحّة المطالب، وفيه الكثير من المطالب الضعيفة والمشكوك فيها، والمكذوبة وغير المطابقة للواقع، والأحاديث الموضوعة والأمور الغريبة ـ عدا الكرامات وخوارق العادات، والأغلاط التاريخية.

ولم يكن العطار أول من ألّف في موضوعه، فقد سبقه في اللغة الفارسية اثنان: أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري الغزنوي المتوفى سنة ٤٦٥هـ في «كشف المحجوب لأرباب القلوب»، وأبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الخزرجي الهروي المتوفى سنة ٤٨١هـ في ترجمته الهروية لكتاب السلمي: «طبقات الصوفية»، مع إضافة بعض التراجم إليه.

غير أن فروزانفر يرجّح كتاب العطار على كتب أولئك جميعًا.

تأثر العطار وهو يجمع مادة كتابه من مصادره العربية باللغة الأصل (العربية)، فراح يزين كتابه (تبرّكًا وإعجابًا) بجملٍ وتعابير عربية محضة؛ إن

كانت أحاديث شريفة أو أقوالاً مأثورة، أو حتى بعض الأشعار، مما حدا الباحث بهار إلى إحصاء نسبة الكلمات العربية إلى الكلمات الفارسية، فوجدها تشكل حوالي ١١٪ من مجمل مفردات الكتاب.

لقد تولّدت شهرة كتاب تذكرة الأولياء من ثلاثة أسباب:

١ـ أسباب شخصية: فالكتاب من تأليف فريد الدين العطار، وهو مَن هو.

٢ـ أسباب تاريخية: فهو من أوائل الكتب الفارسية التي تحدّثت عن رجال التصوف وفكرهم.

٣ـ أسباب فنية: بلغ العطار الغاية في كتابه هذا لغة وبيانًا واستيعابًا حتى عُدَّ كتابه من أفضل ما أُلِّفَ في بابه. إذن فلا غرو أن يترجَم الكتاب إلى كثير من اللغات، نذكر ما وصل إلينا منها:

١ـ اللغة العربية: ترجم قديمًا إلى العربية، وسنذكر هذه الترجمات عند ذكر المخطوطتين اللتين اعتمدنا عليهما.

وترجم عبد الرحمن بدوي الفصل الخاص من الكتاب برابعة العدوية في كتابه، «شهيدة العشق الإلهي» عن الترجمة الفرنسية التي قام بها دي كورتي.

وفي مكتبة الأوقاف العامة ببغداد في المخطوطة ذات الرقم (٤٨٨٥) فصل مترجم إلى اللغة العربية، من كتاب التذكرة هو: (مناقب الحلاج) لم يُذكر اسم مترجمه، ولا سنة الترجمة[1].

ـ ثم أصدرت الدكتورة منال اليمني عبد العزيز سنة ٢٠٠٦ ترجمة كتاب التذكرة ـ عن النسخة الفارسية التي تولّى نشرها نيكلسون سنة ١٩٠٥، وينتهي الجزء الأول بترجمة منصور بن عمار، ولمّا يصدر الجزء الثاني بعد ـ وقد قامت بجهد طيب، ولا يعتبر عملنا تكرارًا لعملها، ولا عملها تكرارًا لعملنا، لا لغة ولا أسلوبًا؛ فإن الأعمال العظيمة قد يكون لها أكثر من عشر ترجمات لكل ترجمة

(١) ولأهمية الدراسات المقارنة، وتسهيلاً على الدارسين ذكرتُ هاتين الترجمتين (رابعة، والحلاج) ضمن ملحق خاص، انظر الصفحة (٨٤٧).

أسلوبها ولغتها تثري العمل، وتضيء جوانب جديدة. ومما تميزت به طبعتنا تلك الحواشي التي ذيلها مترجم الكتاب على النص الأصلي شرحًا وتعليقًا.

٢ـ اللغة التركية: التركية القديمة، والتركية الشرقية، والتركية العثمانية، والتركية الشرقية ـ الأوزبكية.

٣ـ اللغة الأوردية: ترجمة عطاء الرحمن صديقي، نشرت في لاهور سنة ١٩٢٥.

٤ـ اللغة الفرنسية: ترجمة دي كورتي، نشرت عام ١٨٩٠م.

٥ـ اللغة السويدية: ترجمة الباروك أيرك هيرملين، نشرت في استكهولم ١٩٣١م.

٦ـ اللغة الألمانية: (ترجمة الحلاج) ترجمة ثولوك، نشرت في برلين سنة ١٨٢٥م.

٧ـ اللغة الإنكليزية: ترجمة مارجريت سميث، نشرت في لندن ١٩٣٢م.

ـ وترجمه أيضًا إلى الإنكليزية آربري، نشرت في لندن سنة ١٩٦٦م.

وقد نظمت «تذكرة الأولياء» شعرًا في اللغة الفارسية، وأطلق عليها اسم «ولي نامه» نظمها شاعر متصوف لم يعرف عنه إلا اسمه، وهو حافظ العلاف بناءً على طلب أبي الفتح إبراهيم السلطان بن شاهرخ، وقصر همّته على نظم المجلد الأول منه من ترجمة الإمام جعفر الصادق حتى الحلاج، فأتمه في المسجد الجامع العتيق في (٢٤٠٠٠) أربعة وعشرين ألف بيت، وصرف ست سنوات من عمره لإنجازه، وقدّمه لذلك السلطان سنة ٨٢١هـ.

تميّز أسلوب العطار في كتاب التذكرة بالبساطة والسلاسة والبعد عن التكلف، فجاء هذا الأسلوب مناسبًا للغرض الذي صنَّفَ الكتاب من أجله وهو نصح الأمة وإرشادها، وتسويغ مصطلحات القوم وكلماتهم.

كذلك وفّق العطار في الإتيان بالحكايات في ثنايا كتابه، لأن هذه الحكايات ساهمت في إيصال رسالة العطار في النصح والإرشاد إلى العامة والخاصة.

النسخ الخطية التي اعتمدت عليها في إخراج الكتاب:

للكتاب كما انتهى إليه علمي مخطوطة ظاهرة جلية، ذكرها كلٌّ من تكلم عن مؤلفات العطار، وأخرى خزائنية مجهولة لم يعرفها إلا القلّة من الناس.

أ ـ مخطوطة جامعة طهران ذات الرقم ٣٣٧، وتقع في ١٦٩ ورقة، في كل صفحة منها (٣١) سطرًا، كتبت بخط نسخي عادي، قليلة الضبط؛ بل تكاد تكون خالية الضبط إلاّ في القليل النادر. وقد رمزت إلى هذه النسخة بحرف (ب)، أوَّلُها مخرومة، تبدأ بنهاية ترجمة الإمام الصادق صفحة (٤٠) وقد جاء في نهايتها صفحة (٨١٧) أنها نسخت في ذي الحجة سنة ٨٦٩ هـ على يد محمود بن إسماعيل بن إبراهيم.

قال الدكتور أحمد ناجي القيسي: وقد وقعتْ هذه النسخة سنة ١٩٤٣ بيد محمد بن عبد الوهاب القزويني، فكتب بعض الملاحظات عليها في ورقةٍ ضُمَّت إلى الكتاب، استنتج فيها من وجود اسم سراج الدين عمر بن علي بن عمر القزويني في الورقة الأولى منها (المتوفى بقول السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ للذهبي سنة ٧٧٥هـ ويقول محشي هذا الكتاب: سنة ٧٤٨هـ ويقول مؤلف الأعلام: سنة ٧٢٠هـ) أن ترجمة «تذكرة الأولياء» هذه تمت بعد سنة ٧٤٨ أو ٧٧٥هـ. ولم يذكر القزويني، ولا ع. منزوي ـ مؤلف فهرست كتابخانة اهدائي مشكواة به دانشكاه تهراه، الذي عقد فصلاً لهذه المخطوطة في فهرسته ـ تاريخ المخطوطة. وقد وجدت في هامش الصفحة الرابعة بعد الثلاث مئة هذا السطر: «اين كتاب را درشب ٣١ دلو ٨٨٠ خط كردم وابن خط براى ياد كاري است» إذن أستطيع أن أقول: إن ترجمة الكتاب كانت بين سنة ٧٤٨ و٨٨٠هـ. يقول القزويني: إن المترجم أسقط من ترجمته بعض أقوال الصوفية، ومال إلى الاختصار.. ويقول المنزوي: إن المترجم حافظَ على الترتيب، في التراجم، في القسم الأول من الكتاب، وقدّم وأخرّ في باقيه، وأسقط من القسم الأول ثلاث تراجم، ومن الذيل ترجمتين. وإن تلك التراجم

المحذوفة هي: ترجمة محمد بن الفضل، والبوشنجي، والحلاج، وأبي الفضل الحسن، والإمام محمد الباقر. اهـ

ب ـ المخطوطة الخزائنية: وتقع في (١١٣) ورقة، وكل صفحة تحتوي على (٣٤) سطرًا وقد كتبت بخط نسخي عادي، كثيرة الضبط التزييني الذي يُربك القارئ، ويتعب الباحث، وقد نسخت سنة ٩٩٥ للهجرة على يد حاجي محمد حاجي عبد الله السلوبي النامراد، وتمتاز هذه النسخة بتمام بدايتها، وبذا ترفو ما أخلت به نسخة (ب)، فهي تذكر اسم مترجمها محمد بن محمد شمس الدين الأصيلي الوسطاني الشافعي[١].

وثمة منقبة أخرى لهذه النسخة وهي أنها تُرجمَتْ للسلطان الكامل أبي المكارم الخليل بن الملك السعيد أبي المحاسن أحمد بن السلطان العادل أبي المفاخر سليمان الأيوبي[٢].

وبذا حُدِّد تاريخ ترجمتها بين سنة ٨٣٦ ـ ٨٥٢ للهجرة تقريباً خلال حكم السلطان خليل، وبه ينتهي اختلاف العلماء حول سنة ترجمتها.

وبهذه النسخة بقع بيضاء طمست الكلام عمداً، فجاءت النسختان ترفو إحداهما الأخرى. وتنتهي بترجمة عبد الله المغربي (صفحة ٦٥٥ من المطبوع)

وقد صورتُ هذه النسخة من مكتبة المرحوم الأستاذ محمد رياض المالح[٣]. ورمزت إليها بحرف (أ).

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) هو خليل بن أحمد بن سليمان بن غازي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن توران شاه الملك الصالح ثم الكامل أبو المكارم بن الأشرف أبي المحامد بن العادل أبي المفاخر الأيوبي من أهل الفضل والإحسان، كان محبًا للعلماء خصوصًا الشافعية، استقرَّ في مملكة حصن كيفا بعد قتل والده سنة ٨٣٦هـ، وسار في بلاده سيرة حسنة، ونشر العدل، واستمرَّ في المملكة حتى وثب عليه ابنه فقتله صبرًا في ربيع الأول سنة ٨٥٦هـ. الضوء اللامع ٣/١٩١.

(٣) كان رحمه الله كريمًا جوادًا سخيًا، قد جعل من مكتبته وقفًا عامًا، أراد وجه الله، فجزاه الله خيرًا.

ولا بدّ لي من الحديث عن ترجمة الكتاب والسمات العامة لمترجمه محمد الأصيلي: فأول سمة من سماته أنه لم يكتف بنقل النصّ؛ بل كان له مشاركة واضحة في شرح مغلقه، وتسهيل حزنه، وتذليل صعبه. فجلا غامضه، وكشف مستوره، وكان له تعليل لأقوال الأئمة وخصوصًا إن اشتمّ منها رائحة شطح أو شطط، ولا يدع مسألة أو قولاً أو مصطلحًا إلا تكلّم عنه وفسّره مُؤيّداً قوله بآية قرآنية، أو حديثٍ نبوي، أو قول صحابي أو تابعي ليوافق الكتاب والسنة. وقد أثراها باختيار أبيات شعر تناسب المقام، وجعل شروحه وأقواله هذه ضمن متن الكتاب، وميّز بدايتها بلفظ (أقول) ونهايتها بقوله: (والله أعلم).

عملي في الكتاب:

حاولت المستطاع أن يكون العمل إلى التمام أقرب: مضاهاةً وضبطًا وتخريجًا وشرحًا للغريب من اللغة وتعريفاً بالأعلام.

وقد جعلت ما أضافه المترجم محمد الوسطاني من أقوالٍ بحرف أسود تمييزًا له عن متن الكتاب.

وقد أسقط المترجم رحمه الله من الكتاب خمس تراجم، هي:

١ـ محمد بن الفضل.

٢ـ أبو الحسن البوشنجي.

٣ـ الحسين بن منصور الحلاج.

٤ـ أبو الفضل بن حسن.

٥ـ الإمام محمد الباقر.

وقد استدرك الأستاذ يوسف الهادي أبو أزهر هذه التراجم الخمس، اعتمادًا على طبعة نكيلسون (١٣٢١هـ ١٩٠٥)، وجعلتُها في ملحق أول في آخر الكتاب.

وإتمامًا للفائدة، وخدمة للباحثين ضممت ترجمتين من تراجم الكتاب في ملحق ثانٍ، وقد أخذتهما من مصدرين متباعدين:

١ـ مخطوطة مكتبة مديرية الأوقاف العامة ببغداد ذات الرقم (٤٨٨٥) بها سيرة للحسين بن منصور الحلاج، كان قد ضمها الدكتور أحمد ناجي القيسي إلى كتابه «عطار نامه» ١/ ٤٥٨. وقد تُرجمت من كتاب «التذكرة»، ولم يذكر الدكتور القيسي اسم المترجم ولا زمن الترجمة.

٢ـ كتاب «شهيدة العشق الإلهي» تأليف عبد الرحمن بدوي، وقد ترجم المؤلف سيرة رابعة العدوية نقلاً عن الترجمة الفرنسية لكتاب «التذكرة» الذي قام به أ. بافيه دي كورتي.

تركت الترجمة كما هي، وفيها الكثير من أخطاء اللغة من صرفٍ ونحو وأسلوب، فكنت أشير إلى الخطأ مرة في الحاشية، وأترك الإشارة مرات.

ومن أمثلة ذلك:

ـ العابرين الطريق. صفحة ١١٦.

ـ كانوا فارسين [أي فرسانًا]. صفحة ٦٤.

ـ ثلاث حجب. صفحة ١٣٧.

ـ ثلاثة خصال. صفحة ٢١٥.

ـ فصار القضيب في الحال شجرتان. صفحة ١٩٨.

ـ امرأة عجوزة. صفحة ١٩٨.

ـ امرأتي حاملة. صفحة ٢٣١.

ـ كان عاشقًا على جارية. صفحة ٢٢٨.

ـ لكن هو أغلق الباب. صفحة ٣٠٩.

ولقد أبقيت على رسم كثير من الكلمات كما جاءت مثل: أن لا. صفحة ٦٥، ٦٦، ١٠٩...

ولا يفوتني إلا أن أقول لأخي وصديقي الأستاذ أبي يوسف مروان البواب: جزاك الله خيراً، فقد تجشم عناء قراءته ـ رغم ازدحام وقته بكثير من الأعمال،

واختلاف وجهة نظره في إخراج كتب القوم ـ فصحَّحَ خطأ وسوّى ملتوياً.

ـ ولا بدّ لي من شكر الأستاذ المحقق **يوسف الهادي أبي أزهر** على ترجمته للنصوص الناقصة من الأصل العربي.

ـ أما **أبو الحسن ياسر علوان** فله كلّ الامتنان ليس على تنضيد الكتاب وإخراجه فحسب؛ بل على صبره عليَّ، فكم من تجارب الطبع أجريتُ، حتى بعد الإخراج النهائي، ولا أجده إلا مبتسماً صابراً محتسباً.

هذه رحلتي مع هذا الكتاب الذي أردت العمل به منذ عشر سنوات أو أكثر، ولم يتهيّأ لي إلاّ الآن بفضلٍ من الله ورحمة.

فأسأل الله أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم(١).

دمشق

صفر ١٤٢٩/ شباط ٢٠٠٨م

محمد أديب الجادر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) المراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذه المقدمة: كتاب «عطار نامه» تأليف الدكتور أحمد ناجي القيسي، وكتاب «التصوف وفريد الدين العطار» تأليف الدكتور عبد الوهاب عزام، ومقدمة كتاب «تذكرة الأولياء» بقلم منال اليمني عبد العزيز.

صور من المخطوطتين المعتمدتين

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صورة غلاف النسخة (أ)

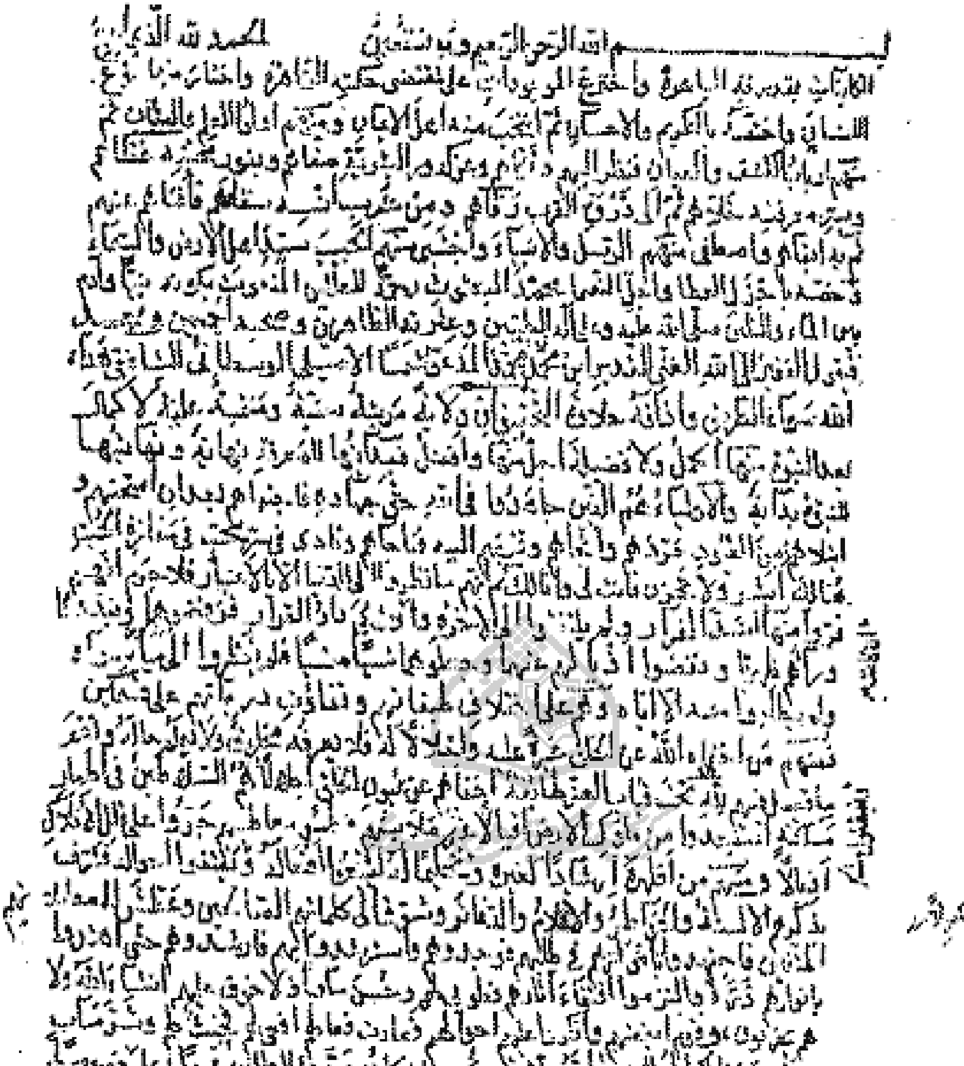
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي زين

صورة الصفحة الأولى من نسخة (أ)

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة (أ)

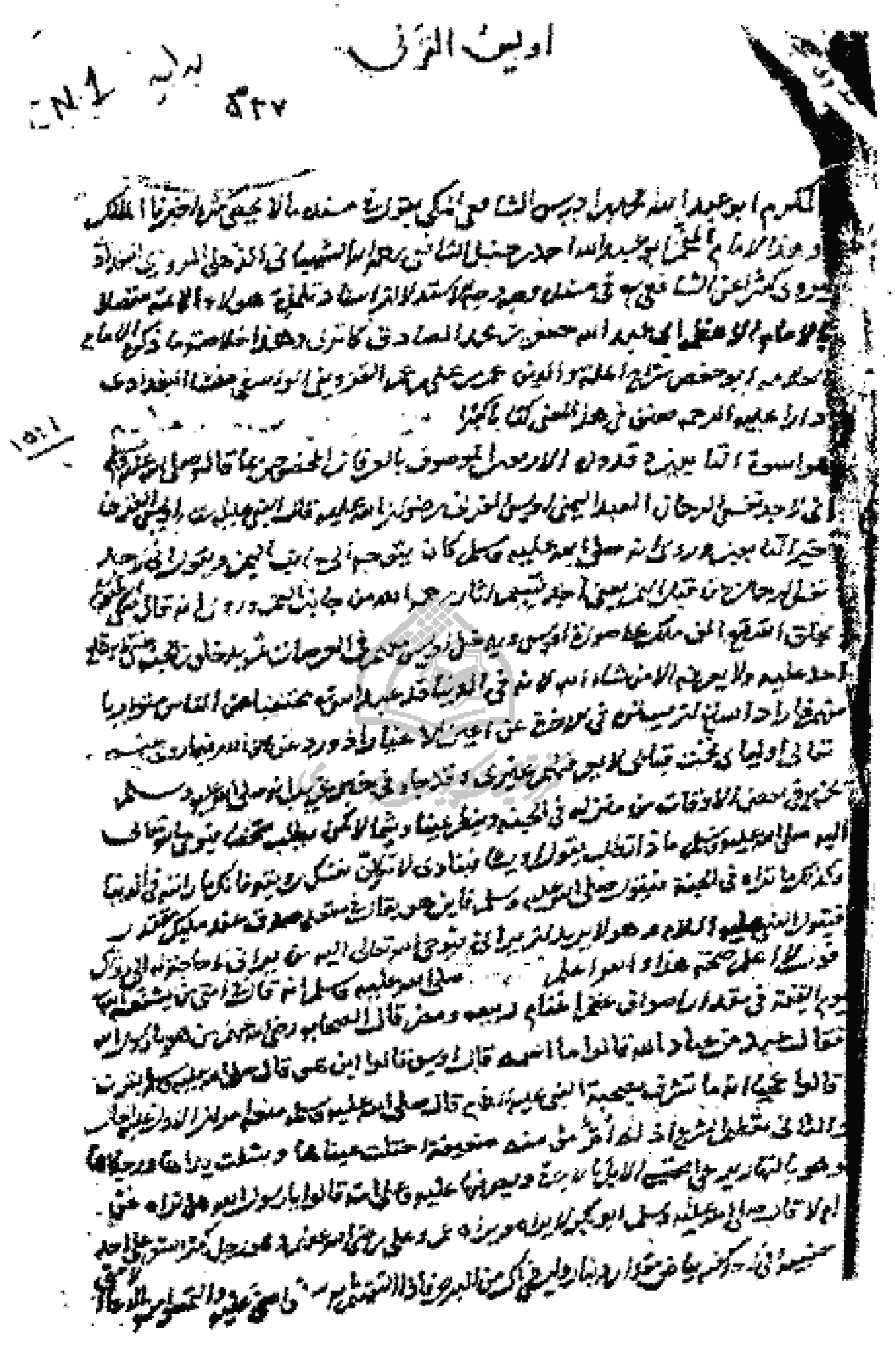
اويس القرني

صورة الصفحة الأولى من نسخة (ب)

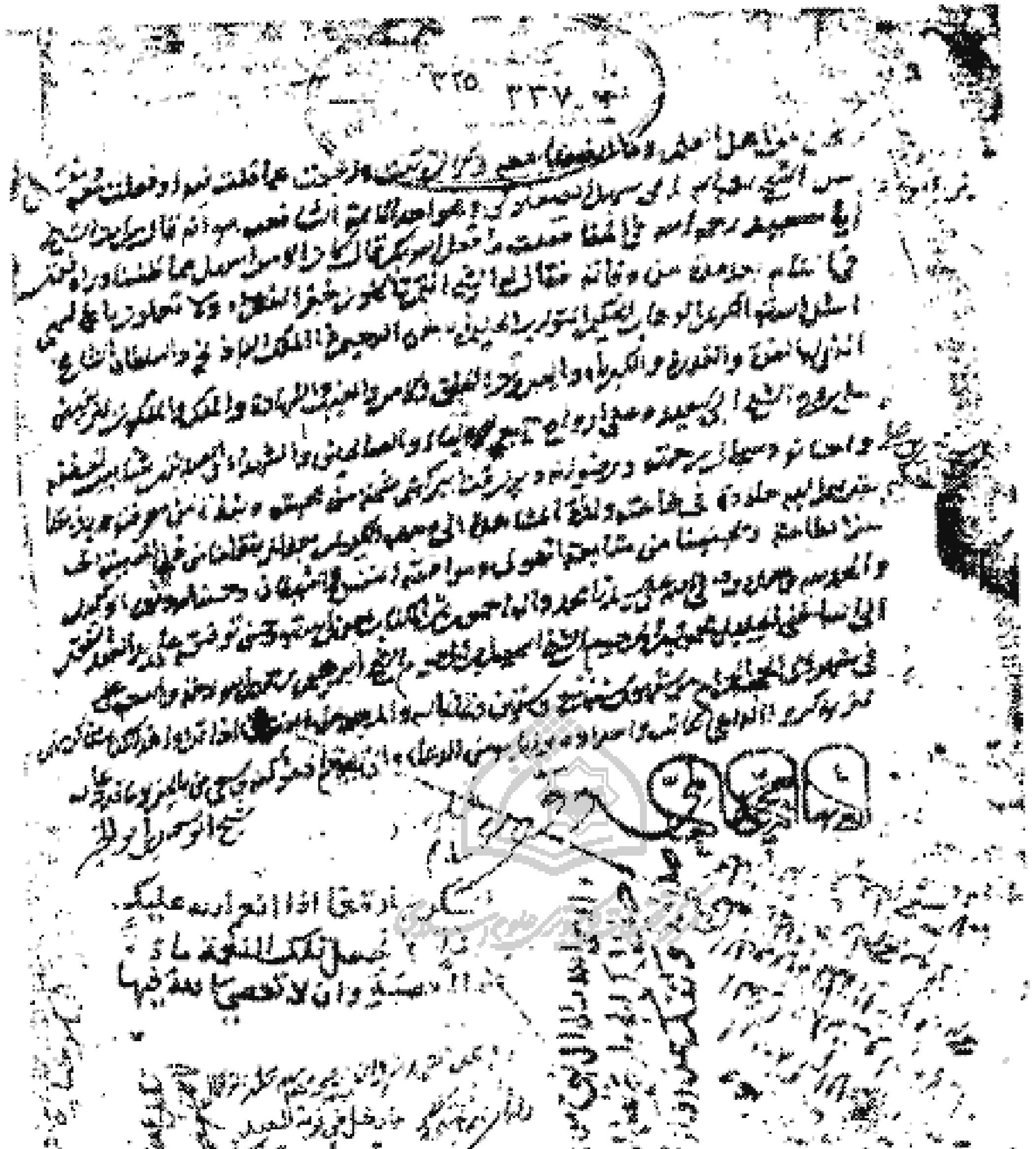

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة (ب)

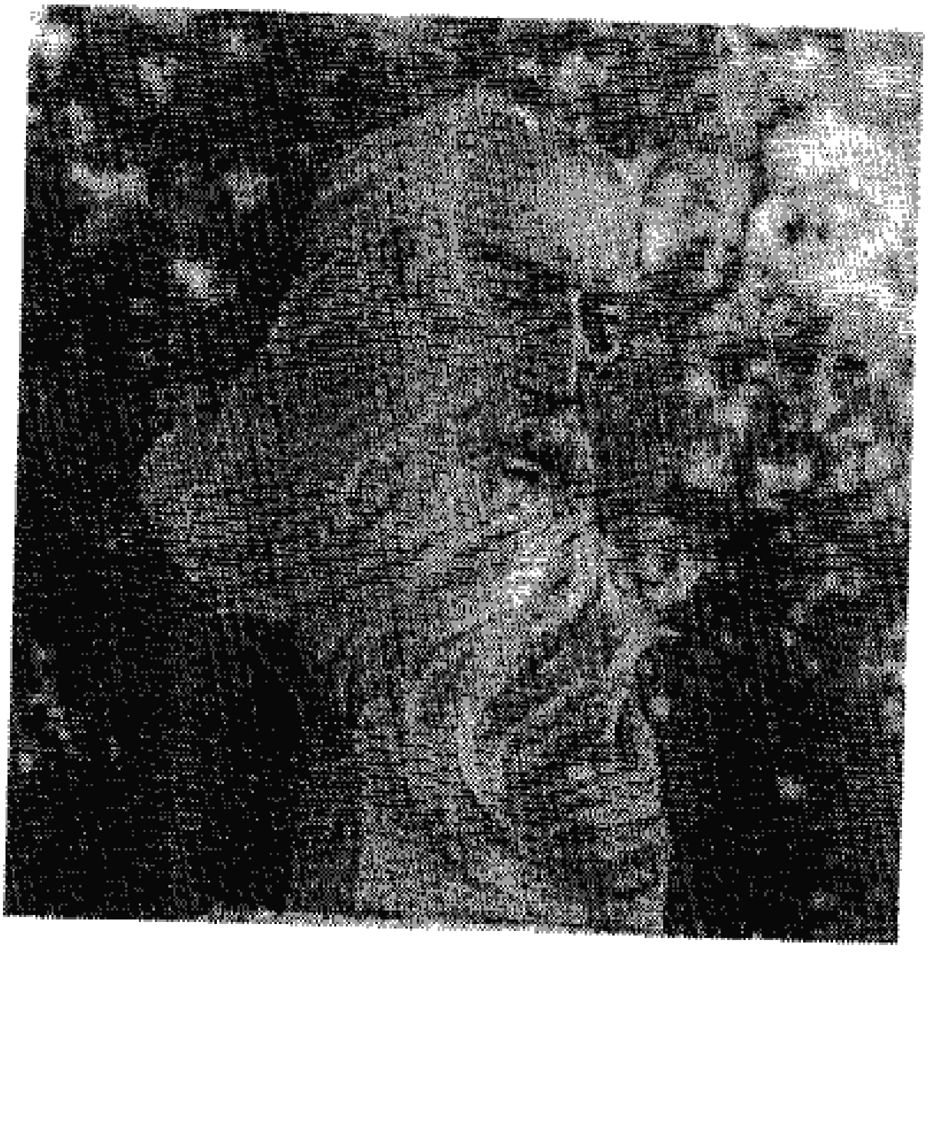

صورة للنصب التذكاري لفريد الدين العطار

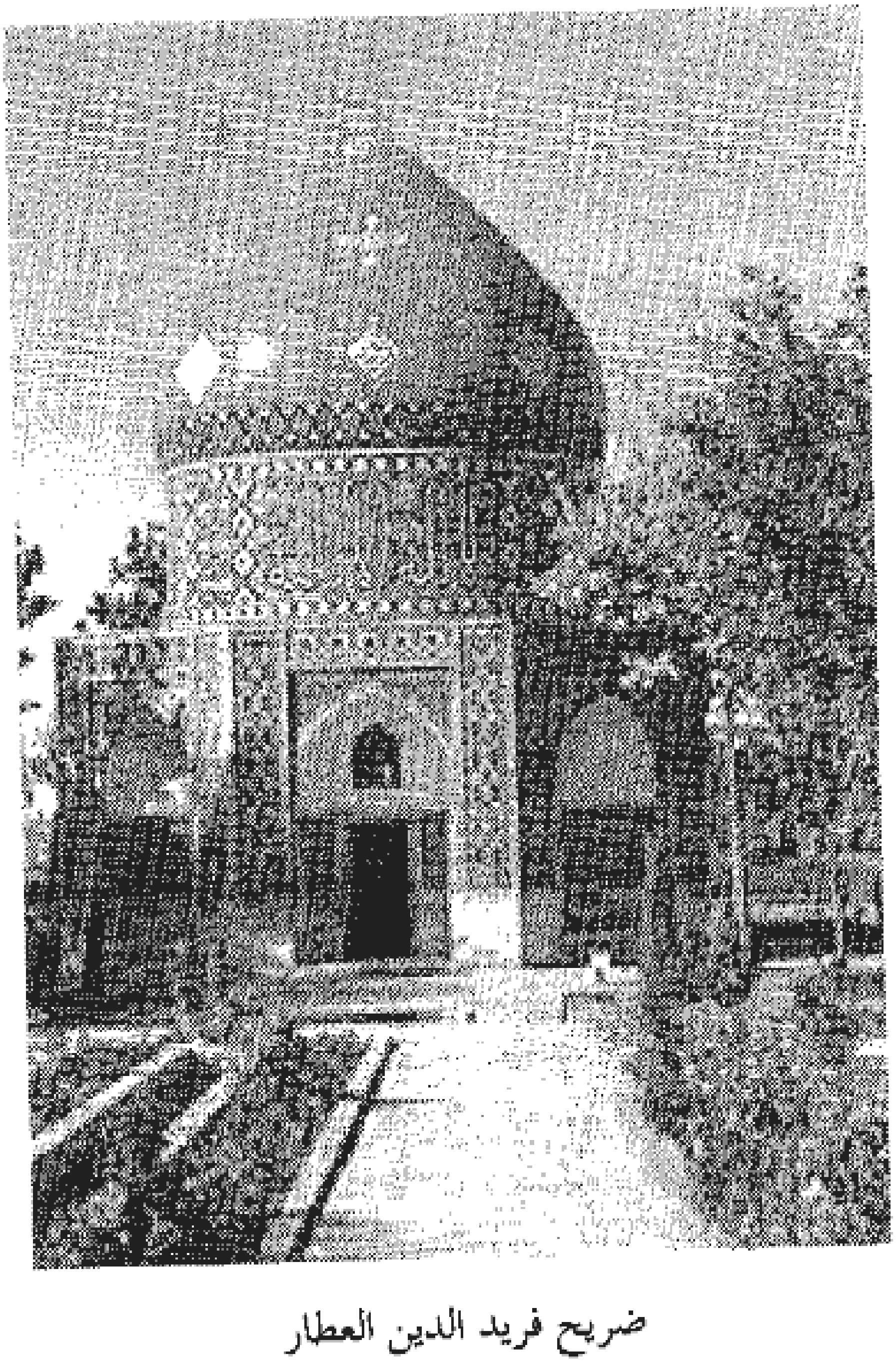

ضريح فريد الدين العطار